**المحاضرة الثامنة عشر**

**القرابة بوصفها جماعة اجتماعية**

ان ما يسود المجتمع المعاصر-المجتمع الصناعي الحضري هو الجماعات القرابية وليس المؤسسات القرابية. فقد اصبح البناء القرابي في المجتمع المعاصر يتكون من اسر نووية تتكون من جيلين او ثلاثة اجيال. اما طبيعة الوظائف التي يقوم بها النظام القرابي فقد ضُيق نطاقها بفعل عوامل التحضر والتصنيع والتمدن، اذ اصبحت تلك الوظائف التي كان يقوم بها النظام القرابي التقليدي من مهام الدولة المتمثلة بهيئاتها الرسمية مثل المدارس والمعاهد والجامعات والمصانع والشركات والبنوك والمحاكم والجوامع، فالوظائف التربوية، وظائف التربية والتنشئة الاجتماعية قامت بها المدارس والجامعات والمراكز والاندية الثقافية التي اوجدها المجتمع المعاصر بفعل الرغبة في الاكتساب الثقافي (ويتم عبر عملية الانتشار الحضاري نتيجة التفاعل والاتصال والاحتكاك بين المجتمعات الانسانية).

اما الوظيفة الاقتصادية اصبحت مسؤولة عنها مؤسسات الدولة الرسمية (مصانع، شركات، بنوك،...الخ). فضلاً عن ظهور المصانع والشركات الخاصة وظهور مؤسسات وهيئات وتنظيمات رسمية تتكفل وتلتزم بتقديم العون والمساعدة المادية والمعنوية لبعض الشرائح الاجتماعية مثل المحتاجين، المعوقين، المسنين. ومن هذه الهيئات، التقاعد والضمان الاجتماعي، الرعاية الاجتماعية، رعاية القاصرين، رعاية الامومة والطفولة، رعاية المعوقين والمكفوفين، صناديق التكافل الاجتماعي وغيرها.

اما الوظيفة الضبطية (الضبط السلوكي) التي كان النظام القرابي يقوم بها فقد اصبحت من ضمن مهام الدولة وواجباتها ايضاً، وذلك بتشريع القوانين وتأسيس هيئات ومؤسسات الضبط الرسمي مثل المحاكم القضائية فضلاً عن ظهور مختلف انواع المؤسسات القانونية التي تكفل وتلتزم بضبط السلوك وضبط الانشطة كافة فضلاً عن معاقبة الخارجين عن الضوابط القانونية الرسمية.

في ضوء ما تقدم يمكن القول ان النظام القرابي تغير حجما ووظائف، فقد اصبح صغير الحجم لا يهتم الا بحدود ثلاثة اجيال. كما انه تخلى عن العديد من وظائفه لصالح هيئات وتنظيمات رسمية حكومية تقوم بها مؤسسات الدولة وغير حكومية تقوم بها هيئات وتنظيمات اوجدها المجتمع المعاصر تحت وطأة التغيرات السريعة لتكون سند للفرد والجماعة. مثال على ذلك ظهور المدارس والجامعات الاهلية لتواكب التطور السريع الحاصل في ميدان العلم والتكنولوجيا خاصة تكنولوجيا المعلومات (عالم الانترنيت). او لتواكب التغيرات الحاصلة تحت تأثير العولمة (تواكب ان كانت التأثيرات ايجابية وتعالج ان كانت التأثيرات سلبية). او لتسد الحاجة، حاجة الافراد غير المشبعة، الحاجة التعليمية. الثقافية مثلاً اذ بعد اتساع حجم المجتمع وزيادة كثافته السكانية واتساع حجم ونوع المشكلات التي يعانيها الافراد اصبحت الدولة وحدها غير كافية في سد واشباع ومعالجة مختلف الحاجات والمشكلات، لذلك ظهرت هيئات وتنظيمات رسمية لكنها غير حكومية متمثلة بمدارس وجامعات اهلية، دور حضانة، مستشفيات اهلية، نوادي ترفيهية اهلية، نوادي الانترنيت الاهلية الى جانب المؤسسات الحكومية.

س/ ما هي اهم العوامل والمتغيرات التي حولت القرابة من مؤسسة الى جماعة اجتماعية؟

ج/ لعل اهم العوامل والمتغيرات التي حولت القرابة من مؤسسة اجتماعية الى جماعة اجتماعية، نمو النسق التربوي وبشكل كبير معتمد على العلوم والمصارف، والزواج الخارجي من غير الاقارب، وتحول الحراك الاجتماعي من الاتجاه الافقي نحو العمودي اي ظهور مؤسسات وتنظيمات رسمية تطلب اشخاصا يعملون فيها حسب كفاءات انجازية وليس حسب الانتماء القبلي او الروابط النسبية، وتشتت سكنى الاقارب في اماكن جغرافية متباعدة، واعتماد سلطة ونفوذ الفرد على مؤهلاته، وزيادة الكثافة السكانية، وانشطار الاسرة الممتدة الكبيرة الى نواة صغيرة، وتشعب وتفرع نظام تقسيم العمل الى اختصاصات دقيقة قائمة على التخصص الدقيق والكفاءة والخبرة العالية، وظهور الاختراعات التكنولوجية سهل المهام والواجبات البيتية، اذ خففت من اعتماد الاسرة على اقاربها.

ان كل تلك المتغيرات كانت لها مسؤوليتها في تقليص حدود ومسؤوليات الجماعات القرابية، ونقول تقليص ولم نقل اختفاء، فدور الجماعات القرابية وفي المجتمع المعاصر تقلص ولم يختف تماماً. بالتأكيد ظهرت مؤسسات وهيئات سحبت من الانظمة القرابية العديد من المسؤوليات والواجبات الملقاة على عاتقها لكنها لم تأخذها منها تماماً. فالعلاقات القرابية او الروابط القرابية مازالت قائمة، وتلك العلاقات والروابط تفرض وتحدد مجموعة من الحقوق والواجبات والالتزامات على اعضائها، وهي التزامات تصدر عن الالتزام الديني والاخلاقي فضلاً عن الدور التنشيئي، بمعنى تنشئة الفرد على محبة واحترام جماعاته القرابية وتشجيعه على الانتماء اليها.

وبناء عليه ما زالت الانظمة القرابية او الجماعات القرابية تقدم العون والمساعدة المادية والمعنوية لأعضائها خاصة في حالات الازمات والطوارئ، كالوفاة، المرض، الشيخوخة، والمعاناة من مشكلة اجتماعية. وما زالت القرابة مصدراً هاماً في الضبط السلوكي والاجتماعي، فالفرد يلتزم بالضوابط السلوكية تعبيراً عن حبه واحترامه للجماعة القرابية التي ينتمي اليها (لينال مشاعر الرضى والاحترام الصادرة عن جماعاته القرابية في حالة الالتزام). ويلتزم ايضاً خوفاً من تقييماتها السلبية في حال الخروج عنها. او خوفاً من عقوباتها (ان عقوبات الجماعة القرابية تتباين من مجتمع لأخر وفقاً للتباين والاختلاف الثقافي بين المجتمعات الانسانية، فهناك عقوبات تتمثل في قطع العلاقة، او التهديد بالقتل او القتل في حال الانحراف الاجتماعي او السلوكي، او التهديد بالضرب، او التدخل بالنصح والتوجيه، والاحتقار وغيرها من اساليب عقابية يتبعها النظام القرابي كمحاولة فيه لتحقيق الضبط والانصياع والاحترام للقواعد والانظمة المقبولة اجتماعياً وقانونياً، فضلاً عن محاولته الاهم وهي الحفاظ على وحدة وتماسك الجماعة القرابية من التفكك والانحلال. ذلك ان تفكك الجماعة القرابية وانفلاتها عن الضوابط يسهل عملية تفكيك المجتمع بأكمله؟

س/ كيف هو النظام القرابي في المجتمع المعاصر (بنائه ووظائفه) وما هي حدوده ومسؤولياته الاجتماعية، وما هي اهم العوامل والمتغيرات التي حولته من مؤسسة الى جماعة اجتماعية؟

ج/ الاجابة مشروحة في عنوان القرابة بوصفها جماعة اجتماعية